## الباب السابع والأربعون

# فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل

إذا فرغ المؤذّن من أذان المغرب يصلّى ركعتين بين الأذان والإقامة، وكان العلماء يصلّون هاتين الركعتين فى البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلى الجماعة، كيلا يظن الناس أنهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنًا منهم أنها سنة مؤكدة.

وإذا صلّى المغرب يصلى ركعتى السنة بعد المغرب يعجّل بهما، فإنهما يرفعان مع الفريضة، يقرأ فيهما بـ ﴿قُلْ يَأَيُّها الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ ثم يسلّم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين، فيقول: مرحبًا بملائكة الليل، مرحبًا بالملكين الكريمين الكاتبين، اكتبا فى صحيفتى: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأشهد أن الجنة حق، والنار حق، والحوض حق، والشفاعة حق، والصراط والميزان حق، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور، اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتى إليها اللهمّ احطط بها وزرى، واغفر بها ذنبى وثقّل بها ميزانى، وأوجب لى بها أمانى، وتجاوز عنى يا أرحم الراحمين.

فإن واصل بين العشاءين فى مسجد جماعته يكون جامعًا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين.

وإن رأى انصرافه إلى منزله وأن المواصلة بين العشاءين فى بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الإخلاص وأجمع للهمّ فليفعل.

وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[1] فقال هى الصلاة بين العشاءين.

وقال عليه الصلاة والسلام، عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره»[2]. ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق. ثم ركعتين بعد ركعتين: يقرأ فى الأول عشر آيات من أول سورة البقرة، والآيتين: ﴿وإلَهُكُمْ إلَه وَاحِدٌ﴾ إلى آخر الآيتين، وخمس عشرة مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾، وفى الثانية: آية الكرسى، و ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بما أنْزِل إلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وخمس عشرة مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾.

---

(١) آية رقم ١٦ من سورة السجدة.

(٢) رواه النسائى والدارقطنى.

ويقرأ فى الركعتين الآخيرتين: من سورة الزمر والواقعة، ويصلى بعد ذلك ما شاء.

فإن أراد أن يقرأ شيئًا من حزبه فى هذا الوقت فى الصلاة أو غيرها، وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الإخلاص والفاتحة.

ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما فحسن، وفى هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا للقرآن حزبه أو مكررًا آية فيها الدعاء والتلاوة، مثل أن يقرأ مكررًا ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وإِلَيْكَ أَنَبْنَا وإِلَيْكَ الْمَصِيرِ﴾[1]، أو آية أخرى فى معناها، فيكون جامعًا بين التلاوة، والصلاة، والدعاء.

ففى ذلك جمع للهمّ، وظفر بالفضل.

ثم يصلى قبل العشاء أربعا، وبعدها ركعتين، ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلى أربعًا أخرى.

وقد كان رسول الله ﷺ يصلى فى بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس أربعًا، ويقرأ فى هذه الأربع سورة: لقمان، ويس، وحم، والدخان، وتبارك «الملك».

وإن أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسى، وآمن الرسول، وأول سورة الحديد، وآخر سورة الحشر.

ويصلى بعد الأربع إحدى عشرة ركعة، يقرأ فيها ثلاثمائة آية من القرآن من: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ إلى آخر القرآن ثلاثمائة آية، هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكىّ رحمه الله.

وإن أراد قرأ هذا القدر فى أقل من هذا العدد من الركعات. وإن قرأ من سورة الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم.

وإن لم يحفظ القرآن يقرأ فى كل ركعة خمس مرات ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ إلى عشر مرات، إلى أكثر.

ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجد، إلاّ أن يكون واثقًا من نفسه فى عادتها بالانتباه للتهجد، فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حينئذ أفضل.

وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلى ركعة يشفع بها وتره، ثم ينتقل ما شاء ويوتر فى آخر ذلك.

---

(١) آية رقم ٤ من سورة الممتحنة.

وإذا كان الوتر من أول الليل يصلى بعد الوتر ركعتين جالسًا يقرأ فيهما بـ : ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، ﴿أَلْهَاكُمُ..﴾.

وقيل: فِعل الركعتين قاعدًا بمنزلة الركعة قائمًا يشفع له الوتر. حتى إذا أراد يأتى به ويوتر فى آخر تهجده، ونية هاتين الركعتين نيَّة النفل لا غير ذلك.

وكثيرًا ما رأيتِ الناس يتفاوضون، كيفية نيتهما، وإن قرأ فى كل ليلة «المسبحات» وأضاف إليها سورة الأعلى فتصير سبعًا، فقد كان العلماء يقرءون هذه السور ويترقبون بركتها.

فإذا استيقظ من النوم فمن أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله، ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يجول الفكر فى شىء سوى الله، ويشتغل اللسان بالذكر، فالصادق كالطفل الكلف بالشىء إذا نام ينام على محبته الشىء، وإذا انتبه يطلب ذلك الشىء الذى كان كلفًا به، وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر، فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم: ما همّه؟ فإنه هكذا يكون عند القيام من القبر: إن كان همه الله فهو هو، وإلا فهمّه غير الله.

والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة، فلا يدع الباطن يتغيّر بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه ويكون فارًا إلى ربّه بباطنه خوفًا من ذكر الأغيار. ومهما وفا الباطن بهذا المعيار فقد انتفى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية، فجدير أن تنصبَّ إليه أقسام الليل انصبابًا، ويصير جناب القرب له موئلا ومآبًا. ويقول باللسان: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.

ويقرأ العشر الآواخر من سورة آل عمران، ثم يقصد الماء الطهور.

قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِرَكُمْ بِهِ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[2] قال عبد الله بن عباس: الماء: القرآن، والأودية: القلوب، فسالت بقدرها، واحتملت ما وسعت. والماء مطهر، والقرآن مطهر، والقرآن بالتطهير أجدر، فالماء يقوم غيره مقامه، والقرآن والعلم لا يقوم غيرهما مقامها، ولا يسدّ مسدَّهما، فالماء الطهور يطهر الظاهر، والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان، فالنوم غفلة، وهو من آثار الطبع، وجدير أن يكون من رجز الشيطان؛ لما فيه

---

(١) آية رقم ١١ من سورة الأنفعال.

(٢) آية رقم ١٧ من سورة الرعد.

من الغفلة عن الله تعالى؛ وذلك أن الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جلدة الأرض، والجلدة ظاهرة بشرة وباطنها أدمه، قال الله تعالى ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[1] فالبشرة والبشر عبارة عن: ظاهره وصورته، والأدمة عبارة عن: باطنه وآدميته، والآدمية مجمع الأخلاق الحميدة وكان التراب موطئ أقدام إبليس، ومن ذلك اكتسب ظلمة، وصارت تلك الظلمة معجونة فى طينة الآدمى، ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة، ومنها الغفلة، والسهو.

فإذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالمطهرين جميعا، ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطأته، ويحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل.

فاستعمال الطهور أمر شرعى له تأثير فى تنوير القلب بإزاء النوم الذى هو الحكم الطبيعى الذى له تأثير.

فى تكدير القلب، فيذهب نور هذا بظلمة ذلك.

ولهذا رأى بعض العلماء الوضوءَ مما مست النار.

وحكم أبو حنيفة — رحمه الله — بالوضوء من القهقهة فى الصلاة؛ حيث رآها حكما طبيعيًا جالبًا للإثم. والإثم رجز من الشيطان، والماء يذهب رجز الشيطان، حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب، وعند الغضب لظهور النفس وتصرفات الشيطان فى هذه المواطن.

ولو أن المتحفظ المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس فى مباح من كلام، أو مساكنة إلى مخالطة الناس، أو غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولاً وفعلاً عقب ذلك بتجديد الوضوء، لثبت القلب على طهارته ونزاهته، ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لا يزال بخفة حركته يجلو البصر ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[2] فتفكّر فيما نبهتك عليه تجد بركته وأثره.

ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض والانتباه من النوم لكان أزيد فى تنوير قلبه، ولكان الأجدر أن العبد يغتسل لكل فريضة باذلاً مجهوده فى الاستعداد لمناجاة الله، ويجدد غسل الباطن بصدق الإنابة، وقد قال الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا

---

(١) آية رقم ٧١ من سورة ص.

(٢) آية رقم ٤٣ من سورة العنكبوت .

الصَّلاَةَ﴾[١] قدّم الإنابة للدخول فى الصلاة، ولكن من رحمة الله وحكم الحنيفية السمحاء أن رفع الحرج وعوّض بالوضوء عن الغسل.

وجوّز أداء مفترضات بوضوء واحد دفعًا للحرج عن عامة الأمة.

وللخواص، وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالأوْلى وتلجئهم إلى سلوك طريق الأعلى؛ فإذا قام إلى الصلاة وأراد استفتاح التهجد يقول: الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلاً. ويقول: سبحان الله — والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله عشر مرات. ويقول: الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة، اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومَن عليهن. أنت الحق ومنك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد عليه الصلاة والسلام حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وبك خاصمّت، وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.. اللهم آت نفسى تقواها، وزكها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم أهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت. أسألك مسألة البائس المسكين، وأدعوك دعاء الفقير الذليل، فلا تجعلنى بدعائك رب شقيًّا وكن بى رءوفًا رحيمًا يا خير المسئولين ويا أكرم المعطين.

ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة: يقرأ فى الأول بعد الفاتحة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[٢] الآية، وفى الثانية ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٣]. ويستغفر بعد الركعتين مرات، ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد، يقرأ فيهما بآية الكرسى وآمن الرسول. وإن أراد غير ذلك، ثم يصلّى ركعتين طويلتين: هكذا روى عن رسول الله ﷺ أنه كان يتهجد هكذا.. ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الأوليين، وهكذا يتدرج إلى أن يصلى اثنتى عشرة ركعة، أو ثمان ركعات، أو يزيد على ذلك، فإن فى ذلك فضلاً كثيرا. والله أعلم.

---

(١) آية رقم ٣١ من سورة الروم.

(٢) آية رقم ٦٤ من سورة النساء .

(٣) آية ١١٠ من سورة النساء.